# الاقتباس عن الغرب
# ضوابطه وحدوده.. أسبابه وآثاره

د. محمد أمين حسن محمد بني عامر

## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد.

فإن مسألة الاقتباس من غير المسلمين مسألة خطيرة ودقيقة، تحتاج إلى وعي تام، وبصيرة ناقدة، وعقيدة نافذة، وإن المسلم في هذا العصر ليشعر بعظم الكارثة حين يرى المسلمين يأخذون - بنهم - عن الكفار كل ما لا ينفع من قشور الحضارة الغربية، وسخافات الكفر. دون مراعاة للنافع الذي لا يتعارض مع الدين. وطرح للضار الذي يتعارض مع الدين. ودون وضع ضوابط محددة للاستفادة من الأمم الأخرى. ودون تحكيم للشريعة في المقتبس، وتقويم لانحرافاته من خلالها.

ولخطر الاقتباس على الأمة الإسلامية، ولأن فيه تفريغا لعقولهم وقلوبهم من محتويات الإسلام، وتعبئة لها بمخترعات فكرية وعاطفية مزورة، تخدم

أعداء الإسلام، وتهدم كيان الأمة الإسلامية - أحببت أن أكتب في هذا الموضوع - بالرغم أني مسبوق بالكتابة فيه من جلة من العلماء، وقد تناولت العناصر التالية فيه، لتحديد الموضوع وحصره:

١ ـ تعريف الاقتباس.

٢ ـ ضوابطه وشروطه.

٣ ـ موقف الإسلام منه، وبيان آراء العلماء فيه.

٤ ـ ما يجوز وما لا يجوز:

أ ـ الأنظمة: التعليمي، التربوي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي.

ب ـ العادات والتقاليد، والمفاهيم والمصطلحات.

ج ـ العلوم والمعارف: الإنسانية والكونية.

٥ ـ أسباب تكالب الأمة على الاقتباس.

٦ ـ آثار الاقتباس على الأمة الإسلامية.

## تعريف الاقتباس ومعناه:

الاقتباس في اللغة: يعني الأخذ، وعند اقتران الاقتباس بالعلم فإنه يعني الاستفادة «اقتبست منه علماً: أي استفدته، وفي حديث العرباض: أتيناك زائرين ومقتبسين، أي طالبي علم» وفي الحديث أيضا: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر[١].

وقد ورد لفظ الاقتباس في القرآن في ثلاثة مواضع، وهي تفيد الأخذ:

---

(١) لسان العرب/ للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: ج٢/ ١٦٧، دار صادر. ومسند الإمام أحمد، ج٤/ ١٢٧.
ومسند الدارمي، كتاب الطب: ٢٢/ ٥١.

**الأول**: وهو قوله تعالى على لسان موسى:

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾[٢].

**الثاني**: وهو قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾[٣].

ففي هذين الموضعين كان موسى يسعى لأخذ ما من شأنه أن يهديه الطريق، أو يخفف عليه من القرّ.

**الثالث**: قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[٤]

وفي هذا الموطن الاقتباس يعني: الرغبة في الاهتداء بنور المؤمنين يوم القيامة من قبل المنافقين[٥].

والمعنى اللغوي: يفيد مطلق الأخذ. سواء أكان نافعا أو ضاراً. إلَّا أنه ربما أمكننا تغليب جانب الأخذ النافع فقط، استنادا على ما ورد في القرآن.

وأما المعنى الاصطلاحي، فيمكن تحديده بما يلي: أخذ الأمة العلوم والأفكار والمباديء والعادات والتقاليد عن غيرها من الأمم.

## ضوابطه وشروطه وطبيعته في الواقع المعاصر:

الأصل في الأشياء: الإباحة، والحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها فهو أحق بها، طالما لا تصطدم بنص إسلامي صريح، أو موقف إسلامي مستقر.

---

(٢) سورة طه، آية: ١٠.
(٣) سورة النمل، آية: ٧.
(٤) سورة الحديد، آية: ١٣.
(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب ج٤/ ٢٣٣٠، ومجلد ٦ ص ٣٤٨٦، دار الشروق.

إن الإسلام لا يمنع المجتمع المسلم من الأخذ بأحدث ما ابتكره العقل البشري من تنظيمات وطرائق فنية، وأساليب تكنولوجية، وصيغ إدارية، للتعامل الكفء والفاعل مع الأشياء، بهدف إعمار الأرض، وتقدم المجتمع، ولكن لا بد أن يخضع الاقتباس لضابط العقيدة التي تُخضع جميع عوامل الأخذ عن الغير في إطار حدود التشريع الإسلامي، فهي تمثل الحصانة الواقية من كل دخيل على الإسلام، ويمكن عرض بعض هذه الضوابط ضمن التقسيمين التاليين:

## أ - ضوابط المُقتَبَس وشروطه:

١ ـ أن يكون المُقتَبَس من العلوم النافعة، والنظم والأساليب التي لا تمس جوهر الدين، وتتمشى مع تعاليم الإسلام وعقيدته، وأن يساهم المُقتَبَس بشكل فعال ومباشر في تحقيق أهداف الأمة وخدمة مصالحها، وأن يكون مراعيا لخصوصيتها، من حيث طبيعتها، وبيئتها الإسلامية، وأن يراعى فيه النوع، لا الكم[٦].

٢ ـ أن تكون الأمة في حاجة ضرورية لهذا الاقتباس، مع عدم توفر البديل له ضمن إمكانات الأمة[٧].

٣ ـ تحري الدقة في الاقتباس، والتمحيص الدقيق للمُقْتَبَس، من أجل تمييز الخبيث من الطيب، ثم تحكيم موازين الشريعة فيه، لبيان صلاحيته، فإن كان كذلك أدخل إلى مرحلة التمحيص الثانية (المعالجة)، وإلا فيرد[٨].

---

(٦) التعليم الإسلامي بين الأصالة والتجديد/ د. فاروق السامرائي ص٦١٧. رسالة دكتوراه.
ومعالم في الطريق/ سيد قطب ص١٣٨-١٤٨.
الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد ص٥١.

(٧) واقعنا المعاصر/ محمد قطب ص١٠٥ و٣٧٤.
والتعليم الإسلامي بين الأصالة والتجديد/ د. فاروق السامرائي ص٦١٧.

(٨) جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية/ منى عبدالله حسن داود، ص٦٥. رسالة ماجستير/ اليرموك.

٤ ـ إعادة المقُتَبَس إلى أصوله الإسلامية، إن كان له أصل في الإسلام، وتحكيمها فيه، وتقويم انحرافاته من خلالها، وتخليصه من شوائبه، ثم بعد ذلك يتم اقتباسه وإدخاله إلى المجتمع الإسلامي، والاستفادة منه. أي بمعنى أسلمة المُقْتَبَس أولا، ثم بعد ذلك يكون الاقتباس[٩].

٥ ـ مراعاة عملية التدرج في الاقتباس، فيقدم الأهم على المهم، ولا يؤخذ المهم إلا بعد الفراغ من الأهم، تمشيا مع قاعدة الضرورة.

٦ ـ مراجعة العناصر التي سبق تحديدها للاقتباس، بين حين وآخر، بغية تقليصها أو الاستغناء عن بعضها. فقد يكون عامل الزمن سببا في استغناء الأمة عن بعضها، فما احتجناه بالأمس ليس شرطا أن يكون في إطار حاجة اليوم[١٠].

## شروط المُقْتَبِس:

لقد شرَّف الله الإنسان بخلافته في هذا العالم الأرضي، وكان ممّا شرفه الله به: (المعرفة). ولقد حبا الله بني آدم نعمة السمع والبصر والفؤاد، ولهذا السبب وحده استحق الإنسان أن يكون خليفة الله في الأرض، وأن تهيأ له أسباب السيطرة على كافة المخلوقات، فينفع نفسه، وينتفع به غيره.

فالسمع يشمل: إحراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون.

والبصر يشمل: تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث.

والفؤاد: معناه تنقيتها من أدرانها وأوشابها، ثم استخلاص النتائج منها. وإذا تضافرت هذه القوى الثلاث نجمت عنها معرفة يستطيع الإنسان بواسطتها الانتفاع من غيره، ومن هنا نقول: بأنه لا بد من توافر شروط في المقتبس. أهمها:

---

(٩) التراث والمعاصرة/ د.أكرم ضياء العمري ص٦٨. كتاب الأمة. الأمة والتربية الإسلامية الحرة/ أبو الحسن الندوي ص١٠-٧٢.

(١٠) جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية/ منى عبدالله حسن ص٦٦.

١ ـ توافر الشعور الديني الصحيح القوي، الذي يوجه الإنسان في المجتمع الإسلامي، مع توافر الثقافة الإسلامية اللازمة له، ليكون أهلا للتمييز بين الغث والسمين، والنافع والضار، بمعنى أن يكون ذا بصيرة إيمانية وبصيرة علمية في مجال العلم الذي يريد الاقتباس منه.

٢ ـ أن يكون المُقْتَبِس معتدلا ومستقيما في سلوكه وتصرفاته وعلمه، فلا يغلب عليه هواه، وأن يكون سائرا مع شريعة الإسلام، فلا تؤثر عليه الحضارة الغربية، ولا ينبهر بها، مهما بلغ شأوها في التقدم العلمي والتقني، لأنه يمثل عائقا أمام حرية الانتقاء وجودته.

٣ ـ أن يكون المقتبس صاحب عزة واستعلاء يدفع عنه الشعور بالمهانة والذلة بسبب الحاجة إلى ما عند الآخرين متشبثاً بقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١١] وبقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[١٢].

## طبيعة الاقتباس في العصر الحاضر وحدوده:

فاجأت صحوة أوروبا الهائلة المسلمين وهم في غفلة من أمرهم وبعد عن دينهم، وجاءهم الاحتلال، ومن بين يديه ومن خلفه (مخاريق) حضارية أخّاذة وفاتنة، وزاد الطين بلة: أن كان المسلمون في فترة ركود حضاري وجمود اجتماعي سببه الأول: التفريط في تطبيق دينهم تطبيقا صحيحا، ولذلك كانوا هم الطرف الضعيف في هذا الصدام. وتبعا لذلك كانت لديهم قابلية شديدة للتأثر وتشرُّب الأنماط الوافدة، خاصة ذات البريق الاجتماعي.

ومن هنا بدأت دورة الاقتباس والنقل عن الكفار والانكباب على أشكال حياتهم وأساليبها المظهرية، من غير تمييز بين المباح وغير المباح، بل أخذت

(١١) سورة المنافقون، آية ٨.
(١٢) سورة البقرة، آية ١٢٠.

عن غيرها كل ما وجدته دون وعي ولا بصيرة، ولم تراع مدى موافقته لتعاليم الإسلام وعقيدته، لانبهارها وخنوعها أمام الحضارة الغربية، وفقدها عزتها واستعلاءها بابتعادها عن دينها الحق"[١٣]".

وبداهة لم تكن عوائد الكفار شرا كلها، ولكن قانون الاجتماع البشري، وطبائع الأشياء تقضي بأن الاقتباس هنا لا يكون إلا في قشور الأشياء، وليس في لباب الحضارة، وقد سجل المؤرخون وعلماء الاجتماع هذه الظاهرة مرارا، ومنهم ابن خلدون في مقدمته إذ أشار إلى:

«إن المغلوب مولع أبدا بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم (الجلالقة). فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم، والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء. والأمر لله[١٤]".

فما قاله ابن خلدون في مقدمته ينطبق تماما على معظم بلاد المسلمين في ذلك الوقت. وقد صور الدكتور محمد محمد حسين هذا - بالنسبة لعصرنا - فقال: «كان المترفون من الأغنياء يتهافتون على ما تخرج المصانع الأوروبية من وسائل الترف، حتى غدت توافه الكماليات من ألزم الضروريات، وأصبح قصارى ما يبلغه أحدهم من التمدن أن يتقن تقليد الأوروبيين في استعمال أدوات المائدة الأوروبية، وأن يحسن حفظ أساليبهم في استعمال الملابس، والتمييز بين ما ينبغي أن يستعمل منها في مختلف المناسبات، وأن يحسن استقبال النساء والتودد إليهنَّ، والتلطف في معاملتهن، وأن يعود من سفرته السنوية إلى أوروبا حيث - يقضي شهور الصيف ليتبجح في ندوات الفارغين

(١٣) واقعنا المعاصر/ محمد قطب ص١١ و٣٤٣-٣٤٦. وأزمة المثقفين تجاه الإسلام/ محسن عبدالحميد ص٤٤.
(١٤) مقدمة ابن خلدون/ الفصل ٢٣ ص١٤٧، طبعة دار الفكر.

بمغامراته، ويدير لسانه بألوان من الرطانات، ثم يرسل أبناءه وبناته إلى المعاهد الأجنبية، مباهاة، وإتماما لما يريد أن يسبغ على نفسه وعلى بيته من جو أوروبي خالص، يظن أنه المقياس الحق للمدنية والرقي[١٥].

## موقف الإسلام من الاقتباس:

لا شك أن أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على الناس: بعثة رسول الله ﷺ - ونزول القرآن الكريم عليه، وبيانه - عليه الصلاة والسلام - له بسنته، فانتظمت الشريعة الخاتمة أمور الدين والدنيا بأكمل وأدق نظام يكفل سعادة البشر في حياتهم الدنيا وآخرتهم.

ولا يدرك ذلك إلا من أنعم الله عليه بنعمة العلم الصحيح المنبثق عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. والمسلم المعاصر يقف أمام مكتبة أجنبية ضخمة: هي نتاج العقول المفكرة على مختلف العصور، وكثير من هذا النتاج يتعلق بالعقائد والنظم والأفكار والفلسفات، فلو انغمر المسلم وسط هذا الركام قبل أن ينال قسطا وافرا من ثقافة الكتاب والسنة فإن عقله يمتليء بها، وذهنه يزدحم، ويصعب عليه تمييز الحق من الباطل والخير من الشر. والغث من السمين.

ومن أجل تجنيب الأجيال المسلمة هذه الأخطار: لا بد من تمهيد الطريق أمامهم، وذلك بإنارة أبصارهم بالثقافة الإسلامية المعتمدة على الكتاب والسنة أولا، قبل أن تسقط في ركام الفكر الجاهلي، فيصعب تخليصها من آثاره وبلاياه.

وبناء على ما تقدم أقول: إن مسألة الاقتباس مسألة خطيرة ودقيقة، فلا بد عند بحثها من مراعاة الأمور التالية:

١ ـ الإسلام دين متميز متكامل، يجمع بين العقيدة والفكر في وحدة لا

(١٥) الاتجاهات الوطنية/ د. محمد محمد حسين ج٢/ ١٨٤.

تنفصل، فهو يعتمد على الوحي والنبوة أساساً، ثم يكون العقل وسيلة من وسائله، والعلم منهجا يجري في مجراه.

٢ ـ إن الأمة الإسلامية هي خير الأمم، ومركزها مركز القيادة والتوجيه، فهي صاحبة الدعوة الخاتمة التي تسيطر على مواقف البشرية وتصرفاتها. قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[١٦] . فلا يجوز أن يكون مكان هذه الأمة في مؤخر الركب، وفي صف التلاميذ، ولا يجوز أن تعيش على فتات الأمم الأخرى، وتنخرط في صفها، وتعطل أعظم نعمة أنعمها الله عليها.

٣ ـ في مجال الاقتباس: الأمة الإسلامية لها موقف متميز، تأخذ إذا اضطرت واحتاجت - بإرادة واختيار - ما يوافق دينها، ويلائم شخصيتها، ولا يؤثر عليها، وتنبذ ما لا يلائمها، أو يضعف شخصيتها، أو يفقدها امتيازها.

٤ ـ للأمة الإسلامية استقلاليتها: فهي لا تتشبه بالأمم الأخرى في شعاراتها، وشاراتها، لقول النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[١٧].

٥ ـ يراعى الفرق الظاهر بين الإسلام وحضارات الأمم الأخرى، فالإسلام يرتكز على العقيدة والإيمان الصحيح بالله وباليوم الآخر، ويرتكز على الجانب الخلقي والروحي من الحياة، بخلاف الأمم الأخرى، فحضارتها على النقيض من ذلك.

٦ ـ الإسلام يتسم بالمرونة والصلابة، فهو يملك نعومة الحرير، وصلابة الحديد، نعومة الحرير في مسايرة المقتضيات والحاجات والحقائق، وصلابة الحديد وثبات الجبال في حدود العقيدة والأخلاق.

(١٦) سورة آل عمران، آية ١١٠.
(١٧) رواه أحمد، المسند ج٢/ ٥٠.

## ومما تقدم يظهر لنا:

أن الإسلام يقبل الاقتباس للعلوم النافعة، والنظم والأساليب التي لا تمس جوهر الدين. فالنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها فهو أحق بها»[١٨] كما أن اكتساب الأفكار العلمية من الأمم لا يسمَّى تقليدا، لأن العلم ليس حِكرا على أحد، والاكتشافات العلمية ليست إلا حلقات في سلسلة لا نهاية لها من الجهد العقلي الذي يضم الجنس البشري بكامله. كل عالم يبني على الأسس التي يقدمها له سلفه، سواء أكان من بني أمته أم من أبناء أمَّة غيرها. وعمليات الإصلاح تستمر وتنتقل من إنسان إلى إنسان، ومن عصر إلى عصر[١٩].

## آراء علماء المسلمين في الاستفادة من الحضارة الغربية:

انقسم العلماء في الأخذ عن الأمم الأخرى إلى ثلاث فئات:

**الأولى**: تقول برفض جميع ما جاء عن الغرب والشرق رفضاً باتاً، واعتزال هذه الحضارة اعتزالا تاماً، فلا يصح الانتفاع بتجاربهم في مجالات الطبيعة والكيمياء والرياضة وعلم الميكانيكا والآلات والأجهزة... الخ.

أقول - بعد الاطلاع على رأي هذه الفئة -: إن هذا الموقف خطأ، لأنه ينتج عنه جمود الأمة، وتخلفها عن ركب الحضارة، وقطع صلتها بباقي أجزاء العالم، وجمود العقل البشري.

**الثانية**: تقول بقبول الحضارة الغربية بحذافيرها، بعقائدها الأساسية ومناهجها الفكرية، وفلسفتها المادية، ونظمها الاقتصادية والسياسية التي نشأت في بيئة غير البيئة الإسلامية.

يقول طه حسين - الذي دعا إلى التغريب في معظم كتاباته -: «إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة

---

(١٨) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد/ ١٥، باب الحكمة/ ٤١٦٩ ج٢، دار الفكر.

(١٩) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية( أبو الحسن الندوي ص٢٠٠ وما بعدها/ دار القلم.

الأوروبيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب»[٢٠].

## وأما سلامة موسى فيقول:

«كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراض في الأدب كما أزاوله، فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا ديانة، وأن نلتحق بأوروبا، فإنني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، هذا هو مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب».

## ثم يقول في موطن آخر:

أريد أن تكون ثقافتنا أوروبية، لكي نغرس في نفوسنا حب الحرية والتفكير الجريء[٢١].

يمثل هذا الاتجاه - كذلك - علي عبدالرزاق الذي دعا إلى الاقتباس من الحضارة الغربية بلا قيد ولا شرط. ومما يدل على ذلك ما ختم به كتابه الإسلام وأصول الحكم:

«لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسية كلها، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا به واستكانوا إليه، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية، وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم.».

---

(٢٠) مستقبل الثقافة في مصر/ طه حسين ص٤٦.

(٢١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر/ د. محمد محمد حسين ج٢/ ٢٢٣.

نقول - بعد هذا العرض لموقف هؤلاء -: بأن هذا الموقف خطأ، فلا يجوز للمسلم أن يعطل شخصيته بالتقليد الأعمى، وعليه أن يحافظ على شخصيته وكرامة أمته.

**يقول محمد اقبال:**

«إن أولئك الذين كانوا يستطيعون أن يقودوا عصرهم، أصبحوا بسخافاتهم يقلدونه، ويمشون وراءه.». وصدق الله إذ يقول لرسوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾[٢٢].

فالإسلام يحتوي على حيوية خالدة، وقوة دافعة، وإمكانات واسعة، تعمل على تكوين عالم جديد، ومجتمع صالح، تراعي فيه جوانب المادة والروح، كما أنه يعيب التقليد ويذم تعطيل العقل. قال تعالى في ذم المقلدين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٢٣].

**الثالثة**: تقول بأخذ الصالح النافع الذي لا يعارض الإسلام، وهو الجانب الكوني فقط مع الحذر من عقائدهم وسلوكهم. ومن الذين قالوا بهذا القول:

الإمام الغزالي في إحيائه حيث يقول: «العلوم الدنيوية البحتة يجوز أخذها واستمدادها من أي مصدر. بل يجب إذا احتاج إليها المسلمون، فقد يكون تعلمها فرض كفاية متى توقفت عليها حاجة المسلمين. فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح.

فالمحمود: ما ترتبط به مصالح الدنيا: كالطب والحساب. وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة، وليس بفريضة. أما فرض الكفاية: فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب[٢٤].

---

(٢٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ للندوي، ص٩٠، دار القلم. وسورة الأنعام آية ١٥٠.
(٢٣) سورة الزخرف آية ٢٣.
(٢٤) إحياء علوم الدين/ الغزالي، ح١/ ١٧ طبعة ١٣٧٧هـ.

**وأما مصطفى صادق الرافعي فيقول:**

وإني أرى أنه لا ينبغي لأهل الأقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد. بل اقتباس التحقيق، بعد أن يعطوا كل شيء حقه من التمحيص، فإن التقليد لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة.

على أننا لا نريد من ذلك ألا نأخذ من القوم شيئا. فإن الفرق بعيد بين الأخذ من العلوم والمخترعات، وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس.[٢٥]

**وأما الإمام الشهيد حسن البنا فيقول:**

«من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدى الإسلام وأصوله وقواعده. والإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع، وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى - كل الإباء - أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين»[٢٦].

**وأما الأستاذ أبو الأعلى المودودي فيقول:**

«إن كان هناك شيء ينبغي ويستحق أن تأخذه أمَّة عن الأمم الأخرى فإنما هو نتاج أبحاثها العلمية، وثمرات قواها الفكرية، ومعطياتها الاكتشافية، ومناهجها العلمية، التي تكون قد بلغت بها معارج الرقي في الدنيا.

إن أي أمة إذا كان في تاريخها أو في نظمها الاجتماعية أو في أخلاقها درس نافع - فمن الواجب أن نأخذه منها، ومن الواجب أن نستقصي أسباب رقيها وازدهارها بكل دقة وتمحيص، ونأخذ منها ما نراه ملائما لحاجتنا وظروفنا.

ولكننا إذا أعرضنا عن هذه الأمور الجوهرية ورحنا نأخذ من أمم الغرب

---

(٢٥) وحي القلم/ مصطفى صادق الرافعي، ح٣/ ٢٠٣، الطبعة الثامنة.

(٢٦) رسائل الإمام الشهيد حسن البنى ص٣٠٧، طبعة دار الأندلس.

ملابسها، وطرقها للمعيشة، وأدواتها للأكل والشرب، بزعم أن فيها السر لنجاح تلك الأمم ورقيها فلا يكون ذلك إلا دليلا على غباوتنا وحماقتنا. فهل لأحد عنده العقل أن يعتقد أن كل ما أحرزه الغرب من التقدم والرقي - في مختلف حقول الحياة - إنما أحرزه بالجاكيت والبنطلون وربطة العنق والقبعة والحذاء؟! أو أن من أسباب رقيه وتقدمه: أنه يتناول طعامه بالسكين والشوكة؟ أو أن أدواته للزينة والرفاهية والمساحيق والمعاجين والأصباغ هي التي سمت به إلى أوج الرقي والكمال؟!!

فإن لم يكن الأمر كذلك - والظاهر أنه ليس كذلك - فما للتقدميين المتشدقين بالإصلاح عندنا لا يندفعون أول ما يندفعون إلا بهذه المظاهر[٢٧].

## وأما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فيقول:

«الاستقراء التام القطعي دل على أن الحضارة الغربية تشتمل على نافع وضار، أما النافع فيها فهو من الناحية المادية، وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبينه، وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم ممّا يدخل تحت التصور. فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث أنه جسد حيواني. وأما الضار منها فهو إهمالها بالكلية الناحية التي هي رأس كل خير، - ولا خير البتة في الدنيا بدونها - وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه.

ثم قال: وقد انتفع الرسول ﷺ بدلالة (أبي الأريقط الدؤلي) له في سفر الهجرة على الطريق، مع أنه كافر، فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية: هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا ممّا جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا. فتصلح لهم الدنيا والآخرة، والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي، والانسلاخ من الدين، والتباعد من طاعة خالق الكون. ولا يحصلون على نتيجة ممّا فيها من النفع المادي، فخسروا الدنيا والآخرة. وذلك هو الخسران المبين[٢٨].

---

(٢٧) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة/ أبو الأعلى المودودي، ص١٦٣-١٦٤.

(٢٨) أضواء البيان تفسير القران بالقران/ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ح٤/ ٤١٢، مطبعة المدني.

وبعد عرض أقوال العلماء، أقول - والله أعلم -: إن هذا هو الرأي الحق الذي يقبله العقل ويؤيده الدليل. فالذي يطالع التاريخ الإسلامي يجد أن الأمة الإسلامية في عصورها المتتالية أخذت عن غير المسلمين من الأمم الأخرى: كالرومان، والفرس، بحكم احتكاك أبنائها بهم، واطلاعهم على ما وصلوا إليه من ترتيبات وتنظيمات حضارية، خاصة المتعلقة بالإدارة وتصريف بعض شؤون البلاد المادية: كتدوين الدواوين، وتمصير الأمصار، وغيرها. ومما ورد في عهده ﷺ كاتخاذ الخاتم في الرسائل، وحفر الخندق في غزوة الأحزاب[٢٩].

كما أن الإنسان هو خليفة الله على وجه الأرض، وقد سخر الله له ما في السموات والأرض، والتسخير يقتضي الانتفاع، والانتفاع يكون بما هو صالح للإنسان، من صنعه أو من صنع غيره، ما دام موافقا لشريعة الله تعالى.

## سمات الاقتباس عند المسلمين الأوائل:

١ - إنه كان اقتباس عزة واستعلاء، ممّا أدى إلى عدم الشعور بالمهانة والذلة بسبب الحاجة إلى ما عند الآخرين، آخذين بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[٣٠].

٢ - كان هدفهم من الاقتباس هو التمكين لهذا الدين، وتثبيت أركان الخلافة في الأرض، ومن ثم كان ذلك حصانة لهم من الانبهار والافتتان بما عند غيرهم.

٣ - كان اقتباسهم في حدود المباح فقط، ضمن ضوابط الإسلام، فهم لم يقتبسوا إلا ما كانوا في حاجة إليه مع ضمان عدم تعارضه مع دينهم.

٤ - لم يكن اقتباسهم مجرد نقل محض، وإنَّما كان اقتباسا مبدعا. إذ صاحبه

---

(٢٩) صحيح البخاري ج٥/ ٢٢٠٤ كتاب اللباس باب ٤٨. وفتح الباري/ لابن حجر العسقلاني، ح٧/ ٣٩٢، كتاب المغازي، غزوة الخندق.

(٣٠) سورة آل عمران، آية ١٣٩.

حسن الانتقاء ابتداء، ثم تمحيص ما ينتقى وفق تعاليم الإسلام، ثم يكون الهضم والتمثيل والإضافة والتجديد[٣١].

## حدود الاقتباس «ما يجوز وما لا يجوز اقتباسه»:

على ضوء ما تقدم نقول: إن الاقتباس من الحضارة الغربية يختلف حكمه باختلاف نوعه. ويمكن أن نتناول الأمور التالية:

أ ـ اقتباس النظم ومنها:

١ ـ النظام التعليمي والتربوي.

٢ ـ النظام الاجتماعي.

٣ ـ النظام الاقتصادي.

٤ ـ النظام السياسي.

ب ـ اقتباس القيم والعادات والمفاهيم والمصطلحات.

ج ـ اقتباس العلوم الإنسانية.

د ـ اقتباس العلوم الكونية.

### أ- أما الأمر الأول: اقتباس الأنظمة من الأمم الأخرى:

فالنظام: توحي به وتحدده عقائد واضعيه، أو مصالحهم القومية، أو الشخصية، ومن هنا إذا أرادت أمة من أمم الأرض أن تستورد أنظمة من غيرها لاعتقادها بصحتها، وآمنت بصلاحية حلولها ومعالجتها للمشكلات والقضايا التي فيها، لأنها واحدة - حسب نظرهم - فما صلح لتلك الأمة يصلح لها، فإن عليها أن تؤمن بعقيدة تلك الأمة، وعقيدتها هذه هي عقيدة أنظمتها، كما عليها أن تقر وتعترف بكل ما جاء في تلك العقيدة حتى تحصل

(٣١) واقعنا المعاصر/ محمد قطب ص١٠٥ و٣٤١. وأزمة المثقفين تجاه الإسلام/ محسن عبدالحميد ص١٤٠. حول إعادة تشكيل العقل المسلم/ عماد الدين خليل، ص٦٦ وما بعدها.

على ثمار الأنظمة التي أخذتها، وتضمن حسن تطبيق معالجاتها للمشكلات، لأن أنظمة حياة الأمة ومعالجات مشكلاتها منبثقة عن عقيدتها وموجهة بتوجيهها، ولأن العقيدة هي الضمانة الحقيقية، والحارس الأمين من الإساءة في تطبيق الأنظمة، وهي الدافع الذاتي الذي يوجد الولاء الصادق والإخلاص لكل معالجات الأنظمة[٣٢].

## مرتكزات الأنظمة الإسلامية:

الأنظمة الإسلامية: هي الأحكام والقواعد التي وضعها الله لتنظيم وضبط أعمال الناس وعلاقاتهم المتنوعة وهي ترتكز على ما يلي:

**أولاً**: أنها أنظمة ربانية الغاية والمصدر والمنهج، تنبثق عن العقيدة الإسلامية[٣٣].

**ثانياً**: أنها تشمل جوانب الحياة المختلفة، فدستورها القرآن فيه بيان لكل شيء، ومعالجة لمشاكل الحياة المختلفة. فالله تعالى يقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٣٤].

**ثالثاً**: أنها ترتكز على العدل والمساواة: العدل المطلق الذي يبعد عن الهوى، والعدل الذي لا تختل موازينه «إن الله يأمر بالعدل والإحسان»[٣٥].

**رابعاً**: أنها تراعي ظروف الإنسان وفطرته، وطبيعة تكوينه وواقع حياته[٣٦].

**خامساً**: أنها تتصف بالثبات على الأهداف والغايات والأصول والكليات والقيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الوسائل والأساليب والفروع والجزيئات في الشؤون الدنيوية والعملية[٣٧].

---

(٣٢) حكم الإسلام في الاشتراكية/ عبدالعزيز البدري، ص٥٠ ط/٤، المكتبة العلمية.
(٣٣) الخصائص العامة للإسلام/ د.يوسف القرضاوي ص٧ و٣٣، مكتبة وهبة - مصر.
(٣٤) سورة النحل، آية ٨٩.
(٣٥) سورة النحل، آية ٩٠.
(٣٦) الخصائص العامة للإسلام/ د.يوسف القرضاوي ص١٤٩.
(٣٧) المرجع نفسه، ص٢٠٤ وما بعدها.

## مرتكزات الأنظمة عند الأمم الأخرى:

١ ـ إنها أنظمة بشرية نسجتها العقول الإنسانية القاصرة لضبط علاقات الناس في أعمالهم في زمن معين، وهي أنظمة تفتقر إلى القيم والمباديء الصحيحة التي يمكن بواسطتها ضبط الإنتاج الحضاري، وذلك بسبب بعدها عن الدين.

٢ ـ إنها تقوم على عقيدة فصل الدين عن الحياة، وهي القاعدة الفكرية التي تبنى عليها جميع الأفكار، والتي يدعى إليها في العالم[٣٨].

٣ ـ إنها تبحث في وسائل إشباع حاجات الإنسان من الناحية المادية البحتة، مستندة في ذلك إلى عقيدتها القائمة عليها، وهي فصل الدين عن الحياة[٣٩].

٤ ـ تقوم على عقيدة إنكار الدين أو الاعتراف به ضمنيا، ولكنها تعترف أن الدين علاقة متصلة بين الفرد وخالقه فقط، ولا شأن له بأنظمة الحياة.

٥ ـ إنها تناقض الفطرة البشرية، فبعضها يركز على الفرد ويهمل الجماعة، والبعض الآخر يركز على الجماعة ويهمل الفرد، كما أنها تهتم بالناحية المادية وتهمل الناحية الروحية.

وإذا نظرنا إلى هذه المرتكزات فإننا نجد أنها تخالف الإسلام ومرتكزاته. لذا فإنه لا يجوز شرعا أن نقتبس نظاما عن الأمم الأخرى. ونضيف أموراً أخرى تدل على عدم الجواز، منها:

١ ـ إن أنظمة الأمم الأخرى ومعالجاتها (حتى إن فرضنا صلاحها) لا تنتج إنتاجا حسنا يضمن لها السعادة المرجوة والرقي المنشود، لأنها لم تنبثق عن عقيدة المسلمين. وحينئذ تفقد الدافع الذاتي (وما نسميه نحن الوازع

---

(٣٨) حكم الإسلام في الرأسمالية/ د. محمود الخالدي، ص٢٦، مكتبة الرسالة ط١/١٩٨٦.

(٣٩) المرجع السابق نفسه، ص٢٦.

وانظر نحو التربية الإسلامية الحرة/ أبو الحسن الندوي، ص١٠ و٢٣. دار المعرفة/ بيروت.

الروحي) لحراسة تلك الأنظمة وحسن تطبيقها في المجتمع، وبالتالي يفقد الولاء الصادق والإخلاص لهذه الأنظمة، فتقع الإساءة في التطبيق.

٢ ـ إن أنظمة الأمم الأخرى تناقض الأحكام الشرعية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية تناقضاً كلياً أو جزئيا. والواقع قد أثبت ذلك.

٣ ـ إن العقيدة الإسلامية هي قاعدة أساسية، انبثقت عنها جميع أنظمة الحياة، واستنبطت منها جميع حلول المشكلات، وعلى المؤمنين بها أن يؤمنوا بما انبثق عنها من أنظمة فقط.

٤ ـ إن نظام العقيدة الإسلامية يفرض على معتنقيه أن يرفضوا أي نظام آخر غير أنظمته، مهما اشتدت مشابهته لأنظمة العقيدة الإسلامية[٤٠].

## اقتباس نظام التعليم والتربية عن الغرب:

إن لنظام التعليم روحا وضميرا كالكائن الحي، وإن روحه ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم وغاياتهم، وهي مظهر لأخلاقهم ووجهة نظرهم إلى الحياة، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة، وروحا وضميرا بذاتهما.

وأبين فيما يلي الأسس التي يقوم عليها التعليم الإسلامي، والأسس التي يقوم عليها التعليم الصليبي واليهودي والاستعماري والإلحادي الشيوعي، والتي تقدم الأمة على الاقتباس منها، لتظهر صورة هذه الأنظمة واضحة أمام أبناء الأمة الذين يفتخرون بهذه الأنظمة.

أما التعليم الإسلامي فيقوم على:

١ ـ إيجاد جيل يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، لأنه تعليم يأتي عن طريق دين رباني صحيح.

٢ ـ الاستقامة على دين الحق والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، لقيام حضارته.

---

(٤٠) حكم الإسلام في الاشتراكية/ عبدالعزيز البدري، ص٥١-٥٥.

٣ ـ الالتزام بأخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه على أساس الكتاب والسنة.

٤ ـ الإيمان بالكرامة الإنسانية التي قررها القرآن وناط بها القيام بأمانة الله في الأرض. «ولقد كرمنا بني آدم»[٤١]، والاعتراف بالجوانب الروحية.

٥ ـ مراعاة الفطرة الإنسانية والغرائز البشرية الموزعة في الإنسان.

أما التعليم غير الإسلامي فيقوم على:

١ ـ تربية جيل مؤمن بالنصرانية أو اليهودية أو الإلحاد، ويكفر بما سواها.

٢ ـ خدمة المصالح النصرانية أو اليهودية أو الإلحادية والتنكر لما عداها.

٣ ـ إمداد أجهزة النصرانية أو اليهودية أو الإلحادية بالطاقات المادية البشرية وغير البشرية، والطاقات المعنوية العلمية والفكرية والنفسية.

٤ ـ الولاء والطاعة التامة لهذه الأمم، والعمل على نشر مبادئها[٤٢].

٥ ـ تعليم العلوم الكونية التي تخدم الحياة الدنيا على أسس علمانية بعيدة عن أية مقارنات بينها وبين ما جاء في الدين.

يقول ستالين: «التعليم سلاح، تتوقف نتيجته على من يمسكه بيده، وعلى من يضرب به»[٤٣].

ومن هذا يظهر لنا أن الأنظمة التعليمية في العالم موجهة وفق عقائد ومذاهب ومفاهيم واضعي سياستها، أو الموجهين لها حول الوجود والكون والحياة والإنسان والنشأة والمصير، ووفق أغراضهم ومصالحهم القومية والإقليمية، أو الحزبية أو الشخصية، ومن هنا فإن فكرة الحيادية لا تقبل في علوم كثيرة.

---

(٤١) غزو في الصميم/ عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، ص١٦، دار القلم ١٩٨٢.
(٤٢) المرجع نفسه، ص١٤ و١٥.
(٤٣) المرجع نفسه، ص١٩٥.

## عدم قبول العلماء لفكرة مشاعية التعليم

وكذلك استيراد مناهج التعليم:

إن الدول العلمانية والشيوعية الإلحادية ترفض استيراد العلوم والآداب التي نشأت في أحضان وعقائد ومفاهيم لا تؤمن أمتهم بها، لما يترتب على ذلك من أخطار على أمتهم، حيث أن هذه الأنظمة تعبث بمفاهيم أجيالهم وعقائدهم، وما يريدون تنشئة أجيالهم عليه من مفاهيم وأخلاقيات.

إن هذه الدول تنظر إلى النظام التعليمي على أنه قنطرة تصل الحاضر بالماضي، والخلف بالسلف، وتصل المعلومات بالعقائد، وتدعم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق والدليل والحجة. ونورد فيما يلي بعض أقوال علمائهم لتأكيد هذه الحقيقة. يقول الدكتور (DR.J.B.CONANT) أستاذ التربية الأمريكية الكبير:

«إن عملية التربية ليست عملية تعاط وبيع وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر ممّا ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنكليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية.»[٤٤].

إنه يقول هذا الكلام بالرغم من أنه تجمعهم لغة مشتركة، وثقافة موحدة، ومصالح سياسية كثيرة، واتصال تاريخي، وعقيدة مشتركة بين الشعبين، فكيف إذا حصل الاختلاف في كل هذه النواحي.

ويقول خبير التعليم البريطاني (SIR.OERCY. NEINN) في مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية:

«لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعا: أن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه، لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون

---

(٤٤) المرجع نفسه، ص١٨.

بها، إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ. تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام.»[٤٥].

وأما العالم الروسي (جوفرن M.C.GOVERN) - وهو أحد أئمة التربية وعلماء الطبيعة - فيقول: «إن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي، إنه قسم منفصل، قائم بذاته، يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف، إن سمة العلم السوفيتي الأساسية: أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس، وإن أساس علومنا الطبيعية: الفلسفة المادية التي قدمها ماركس وانجلز ولينين وستالين، إننا نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه الفلسفة - في معترك العلم الطبيعي العالمي، ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة.[٤٦]

ونلاحظ من كلام (جوفرن) قيام التعليم الروسي على ما يلي:

أ ـ الالتزام بالفلسفة الماركسية وتعاليم أئمتها.

ب ـ عدم السماح لأي عالم أو كاتب أو مدرس بأي حرية فكرية تتنافى مع الفلسفة الشيوعية.

فإلى متى تبقى الأمة الإسلامية نهباً مقسماً بين الغرب والشرق؟ تستورد نظم التعليم والتربية كما تستورد السلع الجاهزة، وتوقع على ما يقدمه الأعداء من مشورة لها دون تمحيص ولا نقد ولا تجربة. ويوم تستورد الأمة التربية والتعليم كما تستورد الآلات والأجهزة والخضراوات والفاكهة فاقرأ على الأمة السلام، لأنها ستخرج حينذاك أجيالا من الشباب بلا هوية ولا شخصيّة، ألسنتهم عربية، وثقافتهم أجنبية، ينظرون إلى أبناء جلدتهم نظرة الازدراء

(٤٥) المرجع نفسه، ص١٩.
(٤٦) المرجع نفسه، ص١٩.

والاحتقار، ويتهمونهم بالرجعية والتخلف، يخلطون بين التقدم العلمي المادي الذي تعلموه وبين القيم والأخلاق والرسالة الأصيلة للتربية والتعليم، فينشأ هناك صراع بين الأجيال يفتت الأمة ويدعها في حالة من الضياع.[٤٧]

## تحذير للأمة من اقتباس مناهج التربية والتعليم الأجنبية:

لقد حذر كثير من علماء الإسلام من تبني الأمة لمناهج تربوية أجنبية. فها هو أبو الحسن الندوي يحذر أمته من ذلك يقول:

«ولا يخفى على المطلع الخبير: أن نظام التعليم روح وضمير كالكائن الحي، له روح وضمير، إن روح نظام التعليم وضميره، إنَّما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم، وغاياتهم من العلم ودراسة الكون ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر لأخلاقهم، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة، وروحاً وضميراً يشعرها بذاتها، إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً، إنَّها تسري في جميع العلوم، في الأدب والفلسفة والتاريخ والفنون، والعلوم العمرانية، حتى في علمي الاقتصاد والسياسة، بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح، وليس في وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها، وإنما يتيسر ذلك لرجل أوتي من قوة الاجتهاد، وملكة النقد القوية ما يستطيع به أن يميز الجزء النافع من الجزء الضار، فيكون عاملا بمبدأ (خذ ما صفا، ودع عنك ما كدر.)»[٤٨]

إن إدخال التعليم الغربي إلى بلاد الإسلام يترتب عليه مشاكل كثيرة ونزاع عقلي وانحراف عن الدين، فالشجرة إذا نشأت وتربت وفق نظامها آتت أكلها، وأثمرت في موعدها.

لقد أدرك محمد إقبال خطورة التعليم الغربي على البلاد الإسلامية، فقال مخاطباً لأمته:

---

(٤٧) التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة/ د. إسحق الفرحان، ص١٤، دار الفرقان.

(٤٨) نحو التربية الإسلامية الحرة/ أبو الحسن الندوي، ص٢٦ وما بعدها، دار المعرفة/ بيروت.

«إياك أن تكون آمنا من العلم الذي تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها.»[٤٩].

ويتحدث - أيضا - عن الانقلاب الهائل والتحويل الجذري الذي يحدثه نظام التعليم فيقول:

«إن التعليم هو (الحامض) الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كما يشاء - إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أي مادة كيميائية، وهو الذي يستطيع أن يحول جبلًا شامخاً إلى كومة تراب.»[٥٠]

وأشار إلى تأثير التعليم على الشباب في البلاد العربية، وكيف عمل على تغيير عقولهم فقال: «إن سحر الإفرنج أو فنه أذاب الصخور وأسالها ماء.»[٥١]

## أ - اقتباس النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي:

إن هذه الأنظمة نشأت في أحضان المادية الخالصة، وقد وضعت أسسها وتعاليمها على قواعد خاطئة، وقد جرت فلسفتها وبالجملة كل ما يتصل بها من نقطة انطلاق منحرفة. فإذا أمعنا النظر في مرتكزات الأنظمة الإسلامية فإننا نجد أنها تقوم على الربانية، ومراعاة الفطرة الإنسانية، ومراعاة المبادىء الأخلاقية، وقد تقدم ذلك.

بينما نجد أن أنظمة الأمم الأخرى تقوم على:

١ ـ أنها صياغة بشرية تراعى فيها الظروف والأحوال التي يعيش فيها الإنسان، فهي ليست ثابتة، وإنما هي متغيرة بتغير الأحوال والظروف، كما أنها أنظمة إلحادية كفرية تقوم على فصل الدين من الحياة.

٢ ـ أنها لا ترتكز على مبادىء الأخلاق، فالنظام الاقتصادي فيها يرتكز على

---

(٤٩) الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية/ أبو الحسن الندوي، ص١٦٩، دار القلم.
(٥٠) المرجع نفسه، ص١٦٩.
(٥١) المرجع نفسه، ص١٦٩-١٧٢.

الغش والخداع والربا والاحتكار، والنظام السياسي فيها يقوم على الديمقراطية والدكتاتورية. والنظام الأخلاقي يرتكز على أن الغاية تبرر الوسيلة. والنظام الاجتماعي يرتكز على الإباحة والتحلل، فالدين لا مكان له في هذه الأنظمة العلمانية والإلحادية.

٣ ـ أن فلسفة هذه الأنظمة تناقض الفطرة الإنسانية وتخالفها، فهي أنظمة إما أن تركز على الفرد أو على الجماعة، كما أنها تقوم على المادة وتتجاهل الروح.

٤ ـ كما أنها تتصف بعدم الثبات وعدم الشمول لنواحي الحياة، وعدم الواقعية.

وبناء على ما تقدم فلا يمكن أن تكون هذه الأنظمة الوضعية موافقة تماما لثوابت الشريعة الإسلامية، ولكن على العكس من ذلك يجب أن تكون الحاكمية في هذه الأنظمة لشريعة الله. ولا يعني ذلك الانغلاق على أنفسنا بعيدا عن التراث الإنساني الذي أسهمنا إسهامات أصيلة في إثرائه وتطوره، فالإسلام يتعامل مع التراث الإنساني بفكر مفتوح تماما، طالما لا يصطدم بنص إسلامي صريح، أو موقف إسلامي مستقر.

## اقتباس القيم والعادات والمفاهيم والمصطلحات:

نهى رسول الله ﷺ عن كثير من عادات أهل الكتاب والمشركين، وحذر أمته من الأخذ عنهم، وذلك لما يترتب على الأخذ عنهم من تبعية وامتزاج بالكفار. وقد أمر المسلمون بالتميّز واستقلال الشخصية. فعلى سبيل المثال: حلق اللحى واعفاء الشوارب جاء في الحديث «خالفوا المشركين، احفوا الشوارب، واعفوا اللحى»[٥٢].

(٥٢) البخاري كتاب اللباس، ج٧/٢٠٦، محمد علي صبيح/ مصر.

## وكذلك تبرج النساء والافتتان بهن:

فهو داء وبيل، ما دب في حياة الأمم التي سادت وازدهرت حضاراتها إلا قوض بنيانها، ونخر في كيانها، وصيرها أثرا بعد عين، وقد غالت الأمم وأسرفت في تبرج المرأة واختلاطها بالرجال، وتعريتها من الحياء والأخلاق واللباس، وتبعتها الأمة الإسلامية، وهذا ما خافه وحذر منه الرسول الكريم ﷺ حين قال لأمته: «واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»(٥٣).

## ومنها أيضا: السلام بالإشارة بالأصابع والأكف:

وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه العادة، من ذلك قوله عليه السلام: «ليس منّا من تشبه بغيرنا. لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى: الإشارة بالأكف»(٥٤).

## ومنها أيضا: الأعياد:

وقد اتخذ الكفار لأنفسهم أعياداً دينية ووطنية مختلفة ومتعددة، وحددوا لأنفسهم أفراحا خاصة بهم، ولا يجوز للمسلمين اقتباسها عنهم وموافقتهم فيها، ولا مشاركتهم في أفراحهم الخاصة بهم، لأن الأعياد من الشعائر التعبدية التوقيفية التي لا يجوز فيها إحداث ولا زيادة، ولا تقديم أو تأخير. وفي تعليل ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«إذ الأعياد شريعة من الشرائع، فيجب فيها الاتباع لا الابتداع.. إنَّما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعيادا أو اليهود. وإنَّما العيد شريعة، فما شرعه الله اتبع، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه.»(٥٥)

---

(٥٣) مسند الإمام أحمد ج٣/ ٢٢ المكتب الإسلامي.

(٥٤) الترمذي/ تحفة الإحوذي/ أبواب الاستئذان/ باب كراهية إشارة اليد بالسلام، ح/.

(٥٥) اقتضاء السراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ ابن تيمية ص٢٩٤.

وقد استدل على ذلك بأن النبي - عليه الصلاة والسلام - قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال ﷺ: «إن الله قد أبد لكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر.»[٥٦]

وقد ورد عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: «اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم.»[٥٧]. وهذه الأمور المتقدمة لا تخلو إما أن تتعارض مع أصول الإسلام وقواعده، أو توقع فيما نهى عنه الشارع من تقليد الكفار فيه. فهذا أمر محرم.

وأخيرا أقول: إن الدين الإسلامي نظم النواحي الاجتماعية على أساس عقائدي، بينما الغرب متفلت من الدين، فأوروبا مصابة بالجذام الخلقي، ولا يزال جسمها يتقطع ويتعفن، حتى أصبح الجو كله موبوءا. وسبب هذا الجذام هو الإباحية الجنسية والخلقية التي تسود أوروبا، وتتخطى حدود الحيوانية والبهيمية، والسبب الحقيقي لهذه البهيمية والحيوانية: هو حرية المرأة المطلقة، والتبرج المطلق، والاختلاط الذي لا حدود له، وإدمان الخمور، ولعب القمار... الخ. فأي بلد إسلامي سار كما سار الغرب وصل إلى ذلك الجذام الذي وصله إليه الغرب.

## ب - اقتباس المصطلحات:

وأقصد بها: تلك المصطلحات التي نشأت في ظلال العلمانية والإلحاد. مثل: اليمين واليسار، والديمقراطية والثيوقراطية، والرأسمالية والاشتراكية، ورجال الدين... الخ. تلك الدعوة التي ترددت على ألسنة فئة من المثقفين ممن ينتسبون للإسلام اسماً، يطالبون بالمعاصرة، وتوحيد الأفكار بين الشرق والغرب، ومجاراة الحضارة الغربية، والتخلص من المصطلحات الإسلامية البالية.

---

(٥٦) المسند، ح٣/١٠٣ و١٧٨، ٢٣٥، ٢٥٠.

(٥٧) اقتضاء السراط المستقيم/ ابن تيمية ص٢٧٠.

وفي الحقيقة هذه التوجهات تمثل خطراً على أصالتنا ومرتكزاتنا الحضارية الإسلامية. إذ أن لكل أمة مصطلحاتها الخاصة بها، ذات المدلولات القائمة على أصول عقيدتها وتصوراتها. فهي نقاط الارتكاز الحضارية والمعالم الفكرية التي تحدد هوية الأمة بما لها من رصيد نفسي، ودلالات فكرية، وتطبيقات تاريخية مأمونة. فالمحافظة عليها من الضرورات الحضارية في حياة الأمة، والتفريط بها يؤدي إلى تمييع الشخصية الإسلامية، وتقطيع أوصال حضارة الأمة، وقد أشار القرآن إلى ذلك عندما أرشد المسلمين إلى ضرورة استخدام مصطلح (انظرنا)، ونهى عن مصطلح (راعنا) الذي كان يستعمله اليهود. ليحققوا أغراضا في أنفسهم. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٥٨].

ولهذا يلزم الأمة: المحافظة على مصطلحاتها، لأن الاقتباس من الأمم الأخرى يسبب:

١ ـ فقدان الأصالة.

٢ ـ تضييع هوية الأمة.

٣ ـ تمييع الخصوصية الحضارية، فلا تصبح الأمة متميزة عن غيرها[٥٩].

## ج - اقتباس العلوم الإنسانية:

وهي العلوم التي تتعلق بالإنسان نفسه - باعتقاده وخلقه ونظام حياته وصلته بخالقه وبالكون من حوله، وبمعاده. وهذه العلوم يجب أن ينبثق منهجها من كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ، لأن الله تعالى أعلم بخلقه، وبالمنهج الذي يصلح أحوالهم.

وهذا العلم لا يجوز أن يتلقاه المسلم من عالم غير مسلم، والأصل في

(٥٨) سورة البقرة، آية ١٠٤.

(٥٩) المذهبية والتغير الحضاري/ محسن عبدالحميد، ص١١٢ و١١٥، ١١٩، ١٢٢.
اقتضاء السراط المستقيم/ ابن تيمية ص٤٥.

المسلم أن يكون أمينا، مستوعبا لما يلقيه على طلبته، خوفا من المسؤولية أمام ربه، كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٦٠].

وتشمل هذه العلوم: علم الشريعة الذي هو فرض عين على كل مسلم يعرف الحلال والحرام، وتشمل - أيضاً -: ما هو فرض كفاية، كعلوم الآداب والتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والقوانين والأخلاق والنظم الاجتماعية. فهي علوم لا تقبل فيها فكرة الحيادية، والاستمداد منها من الكفار ردة، أو كفر إذا اعتقد المقلد صحتها ودان بها.

### د - اقتباس العلوم الكونية:

وهي العلوم البحتة الخالية من التعليلات والتفسيرات الفلسفية الاستنتاجية، مثل: علم الصناعات، والزراعة، والآلات، والتجارة، والطب والكيمياء، والفيزياء، والعلوم الوصفية الخالية من التعليل والتفسير الفلسفي، وهي التي تصف الأشياء كما تثبتها المشاهدة الحسية.

وحكمها أنها فرض كفاية على المسلمين، يجب أن يوجد من أبناء المسلمين من يتعلم هذه العلوم، ليتمكنوا من الاستغناء بها عن عدوهم. فهذه العلوم ضرورية للأمة من أجل إعداد العدة التي أمر الله بها. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٦١].

إن حاجة المسلمين إلى العدو تفتح عليهم أبواباً من الضرر لا تحصى، من إفساد عقيدتهم وأخلاقهم، وجعلهم أذلاء للأعداء، وهذا ما حرص عليه الغرب، ليبقى المسلمون محتاجين إلى علوم الغرب وصناعاتهم.

والأصل أن يتلقى المسلم هذا العلم عن عالم مسلم ارتبط علمه بعقيدته، فإذا لم يوجد العالم المسلم الذي يغني المسلمين عن التلقي على أيدي

---

(٦٠) سورة الإسراء، آية ٦٨.

(٦١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

الكافرين، فعند ذلك يتعين أخذ العلم عنهم، ولكن ليس لكل فرد من أفراد المسلمين، بل يشترط أن يختار الأفراد الذين لا يخشى عليهم من دسائس الكافرين وشبهاتهم، ممن فهموا الإسلام عقيدة وسلوكا، فيعملوا على تمحيصه وتصفيته من شوائب المؤثرات الجاهلية، وتصاغ بقوالب إسلامية. وهذا الأمر يتعلق بالعلوم الكونية البحتة، أما ما يتعلق بجوانب العقيدة أو الأخلاق أو التشريع أو الاجتماع فلا يجوز أخذه عنهم، ومما يدل على جواز مثل هذا الاقتباس: أن النبي ﷺ اقتبس بعض أساليب الحرب والدفاع من غير المسلمين، كحفر الخندق في الأحزاب، كما كان يحفره الفرس.

وكذلك مسايرة الصحابة رضوان الله عليهم للزمان، ومجاراة الأمم في الأساليب الحربية، واتخاذ آلات الحرب، ووسائل القوة، وتعلم العلوم النافعة. وكذلك مسلك المسلمين في عصورهم المختلفة حيث اطلعوا على العلوم الموجودة عند الأمم الأخرى، فعملوا على ترجمتها، وحولوها إلى علوم تجريبية تطبيقية في فترة يسيرة من الزمان، فأصبحوا أساتذة العالم، استفادوا منها وأفادوا غيرهم[٦٢].

## يقول أبو الحسن الندوي:

«إن العلم لا غربي ولا شرقي، ذلك أن الاكتشافات العلمية ليست إلا حلقات سلسلة لا نهاية لها من الجهد العقلي الذي يضم الجنس البشري بكامله، إن كل عالم يبنى على الأسس التي يقدمها له أسلافه، سواء أكانوا من بني أمته أم أبناء أمة غيرها، وعملية البناء والإصلاح والتحسين هذه تستمر وتستمر، من إنسان إلى إنسان، ومن عصر إلى عصر، ومن مدنية إلى مدنية، بحيث أن ما يحققه عصر معين أو مدنية معينة من أعمال علمية جليلة لا يمكن مطلقاً أن يقال: إنها (تخص) و(تعود إلى) ذلك العصر، أو إلى تلك المدنية»[٦٣].

---

(٦٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ أبو الحسن الندوي، ص٩-١٠.

(٦٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ السيد أبو الحسن الندوي، ص٢٠٩.

## وأما السيد قطب رحمه الله تعالى فيقول:

«لقد كان رسول الله ﷺ يتشدد مع أصحابه - رضوان الله عليهم - في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج بقدر ما يفسح لهم في الرأي والتجربة في شؤون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة: كشؤون الزرع، وخطط القتال، وأمثالها من المسائل العلمية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي، ولا النظام الاجتماعي، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان. والفرق بين هذا وذلك بيِّن، فمنهج الحياة شيء، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر، والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة»(٦٤).

وأخيراً نستطيع أن نقول: إن الاقتباس يمر في الأحكام التالية:

أ - يكون كفرا إذا كان في أصول الدين وأسس العقيدة.

ب - يكون فسقاً إذا كان في الأخلاق الفاسدة.

جـ - يكون حراماً مطلقاً إذا كان في العادات والتقاليد.

د - يكون مباحا - بشروط وقيود - في الإنتاج المادي، والعلوم الإنسانية والتجريبية البحتة، والتجارب العسكرية. وذلك بعد صياغتها صياغة إسلامية، وتنقيتها من شوائب الجاهلية وتجريدها من مصالح الكفار، وألا تتعارض مع مصلحة من مصالح الإسلام.

هـ - ويكون مكروها إذا كان في أمور الحياة العامة التي لا تمس العقيدة.

## أسباب تكالب الأمة على الاقتباس

ويمكن أن نوجز أسباب تكالب الأمة على الاقتباس بما يلي:

---

(٦٤) في ظلال القرآن/ السيد قطب، ح٢/ ٢٠/ ٢١ ط/ ٦.

### ١- البعد الكامل عن الإسلام:

فالقرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للمنهج الإسلامي، ذلك المنهج الكامل الشامل للحياة البشرية، وقد أنزله الله إلى الأرض ليواجه الحياة البشرية ويحكمها وينظمها ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٦٥).

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء»(٦٦).

### ٢- غياب الفكر الإسلامي الصحيح:

فالفكر الإسلامي يقوم على الحيوية والنشاط، وهو حافل بالإبداع والتجديد والحيوية، وقد أثبت ذلك في العصور الإسلامية الأولى فلما انفتح المسلمون على الأصول المستمدة من غير الإسلام، أصيبوا بالخمول الفكري، ومن ثم بالفراغ الفكري، ومن ثم انفتح العالم الإسلامي على الحضارة الغربية بما تحمله من فلسفات وأفكار ومفاهيم وثقافة جديدة. وهذا ما عناه الأستاذ محمد أسد حين قال: «ولقد مرت على العالم الإسلامي فترة من الركود، فوثب الكثيرون من المسلمين إلى استنتاج سطحي خالص، يتلخص في أن النظام الإسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم، ولذا يجب أن يحور حسب الأسس الغربية»(٦٧).

### ٣- جهل المسلمين بحقيقة الإسلام كنظام للحياة:

في وقت بَعُدَ فيه أبناء الإسلام عن الإسلام، وصاروا يتوارثونه توارثا تقليديا عن الآباء، وظهرت فيهم الانحرافات والمفاهيم الخاطئة، صاروا يجهلون أن الإسلام نظام كامل وشامل لكل أجزاء الحياة البشرية الفردية والأسرية والاجتماعية والدولية والسياسية والاقتصادية.

---

(٦٥) سورة المائدة آية ٣.

(٦٦) سنن ابن ماجه، ح٢/ ١٣٢٠، كتاب الفتن باب/ ١٥.

(٦٧) رسالة التقليد/ محمد أسد ص٧٠٦.

كما أنهم يجهلون أن الإسلام دين المدنية والحضارة والاكتشافات العلمية، بل إن نفراً من أبناء الإسلام يظن أن الإسلام يقف موقفاً معادياً من المدنية والإنتاج الغربي الجديد، والاكتشافات العلمية، وانطلاقا من هذه المفاهيم الخاطئة بنى المسلمون كيانهم وحياتهم على النمط الغربي واستمداداته.

## ٤- انبهار المسلمين بالتقدم المادي مع جهلهم بحقيقة الحضارة الغربية:

حين واجه العالم الإسلامي الحضارة الغربية الضارية وجدها قد سبقته بعيدا في مضمار التقدم المادي والصناعي والاكتشافات العلمية ممّا جعل المسلمين يصابون بالانبهار المفاجىء، بالإضافة إلى ما هم عليه من ركود، وقد أدت عملية الانبهار إلى إعماء البصائر والأبصار عن المناقشة، وكيفية الاستفادة، ثم الجهل بحقيقة هذه الحضارة الوافدة وأسسها وأهدافها، وأنها حضارة مادية بحتة، قامت على أنقاض الحضارات السابقة.

## ٥- الاحتياج الذاتي في مجالات التقدم المادي:

في وقت ساءت فيه أوضاع المسلمين وتقدمت فيه أحوال الأوروبيين ممّا جعل المسلمين بأمسِّ الحاجة إلى سد الهوة الواسعة التي بينهم وبين هذا التقدم، وكان الأجدر بالمسلمين أن يشبعوا هذا الاحتياج بجهودهم الذاتية، بهدى من دينهم وتراثهم الخصب، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فانهالوا على الحضارة الغربية ينهلون منها، فأصيبوا بالعجز والتواكل، وقد أدى هذا الأمر إلى إيقاع المسلمين بالاقتباس.

## ٦- الاتجاهات المعادية للإسلام كالعلمانية والتنصير والاستشراق:

هذا الثالوث الذي عمل على تزيين الحضارة الغربية أمام أبناء المسلمين، وزرع فيهم عنصر العجز عن اللحاق بركب الحضارة، كما أعطى صورة مشوهة عن الإسلام، وشكك في حضارته، ممّا جعل أبناء الإسلام ينخدعون ببريق هذه الحضارة، فأقبلوا عليها بنهم.

## ٧- الترويج الإعلامي لوسائل الحضارة الغربية:

الإعلام له دور خطير في المجتمع والحياة الإنسانية، فقد يكون وسيلة خير، يخدم الخير ويرفع الحق، وقد يكون وسيلة شر، يستخدم أداة للباطل والفساد، يضلل الأفكار، ويشوه الحقائق. وقد أدرك الأعداء أهمية الإعلام، فاستغلوه على أوسع نطاق، لنشر وسائل الحضارة الغربية.

## ٨- سوء الأوضاع الداخلية في البلاد الإسلامية والتقدم المادي في البلاد الأوروبية:

تعرضت الأمة الإسلامية لضربات قاسية، وواجهت تيارات عنيفة من الداخل والخارج، للقضاء على كيانها، وقد أدت هذه الضربات المتوالية إلى:

١ ـ قلة الإبداع الفكري والإنتاج العلمي، وقلة العناية بالعلوم.

٢ ـ جمود الحياة الاقتصادية، وشلل الحركات التجارية، وانحدار الأوضاع الاجتماعية، وقد صاحب ذلك النهضة المادية الحديثة لأوروبا، فلما انفتح المسلمون على هذا الواقع الذي تعيشه أوروبا مقابل ما هم عليه من أوضاع أقبلوا على هذا الوضع الجديد ناشدين فيه الإصلاح والتقدم.

## ٩- أصحاب الديانات الذين يعيشون في بلاد المسلمين:

توجد داخل العالم الإسلامي ديانات كثيرة، عاشت تحت ظل الحضارة الإسلامية آمنة قرونا طويلة، وكذلك وجدت فرق كثيرة انشقت على المسلمين وخرجت من الإسلام، وقد استفحل شر هذه الفرق والأديان بعد الحروب الصليبية، حيث هاجر عدد كبير منهم إلى أرض فلسطين ولبنان، فكان لهم الدور الأكبر في الدعوة إلى الاقتباس، وقد اعتمدت عليهم أوروبا في تنفيذ مخططاتها.

## ١٠- ضعف التربية والتوجيه في البلاد الإسلامية:

التربية والتوجيه هما الدعامتان الأساسيتان لإعداد الأجيال، وكل أمَّة من

الأمم القوية إنَّما تربي أجيالها لتقوم بنهضتها، وتقود حياتها على أحسن وجه تريده، لذلك تربي الأمم القوية أجيالها على ضوء مبادئها وأديانها ومعتقداتها وأهدافها لا غير.

وكذلك كانت الأمة الإسلامية تربي أجيالها قروناً طويلة على الدين والخلق والفضيلة والعلم، فكان شبابها ينطلقون من ساحات الجامعات وحلق العلم. ولما برزت نتائج الاكتسافات العلمية الغربية انبهرت الأجيال الإسلامية.

## ١١- مساندة الحكومات القائمة في البلاد الإسلامة للاقتباس:

حرص الأوروبيون على إسناد الأمور في الدول الإسلامية إلى من يخدم مصالحهم بأي أسلوب، وقد ساهمت هذه الحكومات في فرض التقليد الأعمى للكفار وإبعاد المناهج الإسلامية.

## يقول أبو الحسن الندوي:

«إن هذه المحاولة المخلصة لتطبيق تجارب الحياة الأوروبية في بلد إسلامي تبرهن على أن قادة هذه البلاد - وإن دوت أسماؤهم في العالم ونادوا الجماهير - لا يزالون رغم ثقافتهم العصرية الواسعة في دور الطفولة والعقلية التي يكثر فيها التقليد والمحاكاة والتلمذة المتواضعة لأساتذتهم الغربيين. وأنهم فضلا عن جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الشعوب التي يحكمونها ولمواهبها وطاقاتها لا يسايرون الفكر الأوروبي في تقدمه وأطواره، ولا يعرفون ما يعيش فيه المجتمع الأوروبي من قلق وتذمر وبحث عن الإيمان والروحانية[٦٨].

## الآثار التي خلفها الانفتاح على الغرب:

لقد كان الفكر الإسلامي في العصور الإسلامية الأولى حياً نشطاً حافلاً بالإبداع والتجديد والحيوية، وقد ظل كذلك حتى أخذ المسلمون يستمدون

---

(٦٨) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ للندوي، ص١٥٤.

مناهج التفكير من غير الأصول الإسلامية. وقد أصيب المسلمون بالخمول الفكري، ومن ثم بالفراغ الفكري. ممّا أوجد لديهم القابلية للاعتماد على الغرب بما فيه من فلسفات وأفكار ومفاهيم وثقافة جديدة، وقد خلف الآثار التالية:

**- أثره في العقيدة والعبادة:**

١ ـ أدى إلى انحسار المفهوم الشامل للإسلام كمنهج للحياة، وقد ترتب على ذلك:

أ ـ انحسار نظام الإسلام التربوي ومفهومه التعليمي، ومن ثم فقد دوره في الحياة.

ب ـ انحسار النظام السياسي، وحلت محله الحركات والمذاهب الهدامة والأحزاب السياسية العميلة والدخيلة.

جـ ـ انحسار النظام الاجتماعي، وأثره في الفرد والأسرة.

د ـ انحسار النظام الأخلاقي، فانتشرت الرذيلة.

هـ ـ انحسار المفهوم الثقافي الصافي، والتصور الإسلامي الأصيل، وحلت محله الثقافة الجاهلية الغربية، والتصورات الجاهلية المستوردة.

٢ ـ التشكيك في العقيدة والإيمان والدين:

أ ـ حيث عملوا على حشو أفكار الناشئين من أبناء المسلمين بالشبهات المشككة في القرآن والسنة والإسلام بشكل عام.

ب ـ إدخال النظريات والمفاهيم الجاهلية، وإقامة المعاهد والكليات لتدريسها وغرسها في عقول أبناء الأمة.

## آثاره على الناحية الأخلاقية

جانب الأخلاق جانب هام وأساسي في حياة الإنسانية وسعادتها، وهو الأساس الأول في بناء الحضارات وبقائها، وشرط أساسي لتحقيق إسعادها.

وقد بنى الإسلام أسس الحياة الفردية والجماعية على الأخلاق ووضع الضوابط الواضحة والقوية لها. ومن أجل هذا اهتم الكفار بهدم الأخلاق الفاضلة بين المسلمين، وذلك عن طريق نشر أفكارهم المادية، وزرعها في قلوب أبناء الأمة الإسلامية.

## - التأثير على الناحية الفكرية والنفسية

فالاقتباس مكيدة، لتحويل أبناء المسلمين عن الإسلام، ففيه:

١ ـ تفريغ أفكار أبناء الإسلام وقلوبهم ونفوسهم من محتويات الإسلام ذات الجذور العقلية والعاطفية والوجدانية والأخلاقية، وانتزاع كل آثار الإسلام، وهو ما يطلق عليه (عملية غسل الدماغ).

٢ ـ تعبئة عقول وقلوب ونفوس أبناء المسلمين بمخترعات فكرية وعاطفية مزورة، تخدم غايات أعداء الإسلام، وتهدم كيان الأمة الإسلامية.

## يقول الأستاذ مالك بن بني:

«ولكن الوقت الذي يكون فيه الألم أشد والحسرة أكبر: هو عندما نحاول إحياء العالم الثقافي المشحون بالأفكار الميتة بالاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى، فهذه الأفكار قاتلة - وهي في موطنها الأصلي - تصبح أشد قدرة على القتل عندما تنسلخ من هذا المحيط. وعلى هذا النحو يقتبس المجتمع الإسلامي المعاصر الأفكار الحديثة والتقدمية في الحضارة الغربية»[٦٩].

---

(٦٩) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي/ مالك بن نبي، ص٩١.
وغزو في الصميم/ عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، ص٢٤٣.

## أما آثاره في الناحية النفسية

فالاقتباس له أثر مدمر في نفسية المقتبِس، ويظهر ذلك في الشعور بالنقص:

١ ـ والاستصغار أمام أصحاب الحضارة الغربية الجاهلية في العالم الإسلامي على مستوى الفرد والدولة.

٢ ـ ثم الانبهار والانهزامية أمام التقدم الصناعي الهائل الذي جاءت به الحضارة الغربية الجاهلية، ممّا جعل النفوس الضعيفة تقف مدهوشة أمام هذا الفتح العلمي الهائل، وتنسى كل قيمها وحضاراتها ودينها ومقومات عزها. ممّا أدى إلى وقوعها في أسر الهزيمة.

وقد نتج عن الانهزامية فقدان الشعور بالمسؤولية تجاه الإسلام والأمة، كما نتج العبودية والتبعية لمنجزات الحضارة الغربية.

## آثاره في الأدب واللغة والثقافة

إن أصالة أي أمة من الأمم وأي حضارة من الحضارات تتمثل في وحدة لغتها، والتزام أدبها، واستقلال ثقافتها. وقد حافظت الأمة الإسلامية على أدبها ولغتها وثقافتها في عصور ازدهارها إلى أن انفتحت على الحضارة الغربية. فعملت على إضاعة معالمها في الأدب والثقافة، ورفع رؤوس الأدباء والمثقفين المنهزمين الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب، ونهلوا من أدبه وثقافته حتى ارتووا. وبهذا انفصل الأدب والثقافة عن الالتزام الإسلامي، وقطع استمدادهما من المصادر الإسلامية، وأما الثقافة فلم تكن أحسن حظا من الأدب، فإن الحياة قد تأثرت بالثقافة الغربية.

## آثار الاقتباس على التاريخ الإسلامي

التاريخ الإسلامي أصدق تاريخ عرفته البشرية، فهو يحمل في طياته تراث أضخم تجربة بشرية في حياة الأمم والحضارات، وهو يحتوي على أروع رصيد إيماني وفكري وثقافي وسياسي وعمراني ومدني وتشريعي.

وقد لحقه الضرر من جراء الانفتاح على الحضارة الغربية، والوقوع في أسر الاحتلال، حيث بدأ المسلمون يأخذون تراثهم وتاريخهم عن الغربيين، وقد صاغ الغربيون التاريخ الإسلامي من وجهة نظرهم كما سبق، ثم لقنوه أبناء المسلمين، وقالوا لهم: هذا تاريخكم.. وهاكم حضارتنا..

وأما حظ أبناء المسلمين من دراسة تاريخهم الصحيح فهو مبخوس، ممّا أدى إلى إنشاء جيل لا يعرف تفاصيل دينه، بمقدار ما يعرف بطولات الغرب وتاريخه.

# الختام

وفي الختام أود أن أسجل ما يلي:

١ ـ إن المسلم ليحس بعظم الكارثة حين يرى المسلمين يأخذون بنهم عن الكفار كل ما لا ينفع من قشور الحضارة الغربية، وسخافات القوم.

٢ ـ ينبغي على علماء الإسلام أن يراجعوا موقفهم من علوم الغرب، فلا يستسلموا أمامها، ولا يعتبروها علوما محايدة، وذلك للمؤثرات الفكرية التي أحاطت بها. فالإلحاد لن يسمح بالكلام عن الدين ولا عن المشيئة الإلهية، والمادية لن تسمح بتقويم الدين وآثاره الروحية والخلقية، وكذلك فإن روح الاستعلاء عند الغرب تمنع التقويم الموضوعي.

٣ ـ الاقتباس عن الغرب يجب أن يراعى فيه النافع الذي لا يتعارض مع الدين، ويطرح منه الضار الذي يتعارض مع الدين، ووضع ضوابط محددة للاستفادة من الأمم الأخرى.

٤ ـ الاقتباس عن الغرب ينبغي أن يتم بعد إعادته إلى أصوله الإسلامية - إن كان له أصل في الإسلام، وتحكيمها فيه، وتقويم انحرافاته من خلالها.

أي لا بد من العودة إلى العلوم الإسلامية الأصيلة وتطويرها، مستفيدين من علوم الغرب فيما يندرج تحت قواعد الإسلام ومنهجه.

والحمد لله رب العالمين.

* * *